

# عمرة الغرباء

أيعود؟ .. لا

فلقد أطال هنا الرقود  
وَمَضَى عَلَى أَنْ لَا يَعُودُ  
سَامَانَ اتَّبَعَهُ الْوُجُودُ

\*\*\*

بِالْأَمْسِ كَانَتْ هَا هُنَا بَعْضُ النَّعَاجِ  
كَانَتْ عَيُونَ الْبَعْضِ مِنْهَا مِنْ زَجَاجِ  
وَعَيُونَ بَعْضٍ مِنْ صَقِيعِ  
وَمَضَى الْقَطِيعِ  
غَدَاةَ السُّرَى ، شَدَّ الرَّحَالَ  
وَصَدَى الْخَطَى

قَبْلَ تَمُوتُ ، أَجَلَ تَمُوتُ عَلَى الرَّمَالِ .

\*\*\*

وَالْيَوْمَ جَاءَ إِلَى هُنَا ، كَيْ يَسْتَعِيدَ  
أَحْلَامَ مَاضِيهِ الْبَعِيدِ ، وَيَسْتَرِيدَ  
لَا صَوْتَ أَقْدَامٍ وَلَا طَرَقَاتِ بَابٍ

حتى الكلاب

سَكَتَتْ وَمَا اهْتَرَشَتْ عِبَاهُ  
مَا عَادَ مِنْ تَجْرِي وَرَاهُ  
فِي رُوحٍ يُزَجِرُهَا بِطَرْفٍ مِنْ عَصَاهُ

\*\*\*

لَا لِنِ نَعُودِ  
أَنَا أَنْتَهِينَا وَأَنْتَهَتْ تِلْكَ السَّنُونُ  
وَعَدَا غَدَا  
سَعُودُ نَهْوَى مِنْ جَدِيدِ  
مَا لَا نُرِيدُ  
وَلَا يَرُونَ

\*\*\*

كَانَتْ هُنَا بَعْضُ الزُّهُورِ  
بَعْضُ الشَّجِيرَاتِ الْكِبَارِ  
يَلْهُو حَوْلَهَا الصَّغَارُ  
يَبْنُونَ فِي سَفْحِ الطَّرِيقِ بِيوتِهِمْ فَوْقَ الْحِجَارِ

والبشرُ يمتطُّ الوجوه ويبسُّ الأيدي  
( القصار )

\*\*\*

لَا لِنِ يَعُودُ  
فَلَقَدْ أَطَالَ هُنَا الرُّقُودُ  
وَلَقَدْ أَطَالَ الْإِنْتِظَارُ  
فَالْيَوْمَ لَمْ تَبْقِ الْعُهُودُ  
شَيْئًا يَدْبُ وَلَا يَمُوتُ  
غَيْرَ الْعَاكِبِ فِي الْبُيُوتِ  
وَمَشْرَدِينَ عَلَى جِدَارِ  
يَتَدَفَّأُونَ بِغَيْرِ نَارِ  
فَالْأَرْضُ لَيْسَتْ أَرْضَهُ  
وَالْمَاءُ يَرْبُضُ فِي السَّقُوفِ  
وَالنَّاسُ مَا عَادُوا كَمَا كَانُوا  
غَدَاةَ مَضَى وَسَارَ .

بغداد صفاء حيدري

تعرف الاذاعة هذه العبارات والاشكال فالأفضل ان تختصر البرامج وتنقطع عن البث نصف ساعة قبل الوقت. مثل ذلك ظل العقاد في احد كتبه يشرح رسما معيناً وكيف تلعب الحرية فيه فاستغرق فصلاً تاماً من السفسطة . وفي عدد نيسان من «الآداب» قرأنا دراسة لشهريار توفيق الحكيم بأنه « قد ابيض وشف واحب ورغب وعرف ... وادرك سر الطبيعة » . من فينا ممن تجاوز الرابعة عشرة من عمره لم يعرف هذا السر بعد ؟ ان النقطة ليست هنا باي حال ان الجمهور سيكون نائماً عندما نبلغ الفصل الاخير . النقطة هي هل استطاع المؤلف ان يخلق دعابة وتشويقاً ، حدة واضطراباً تكهرب الجمهور وتعطل احساسه بالجدران المحيطة به ؟ ان الحل لنقادنا ان يذهبوا الى المسرح ويدرسوا كيف تتحرك المناظر وتسحب الحبال وكيف يستجيب الجمهور لهذه الحركة او هذه العبارة . فاذا كسلنا في القيام بهذا المجهود فالأفضل ان نصمت . وان الشعر يقدم لنا تبايناً مفيداً هنا . فنقد الشعر عندنا على مستوى طيب . والسبب هو ان لنا تقاليد طويلة في دراسة الادوات والوسائل الشعرية من اوزان وقافية

- التتمة على الصفحة ٦٥ -

اي شيء ... » على انها عبارات يتحكم بها شكسبير من الغوغاء والثورات . وعندها كان لا بد ان ابين ان هذه العبارات لم يقصد بها سوى حيلة مسرحية للتخلص من المصطبات والاثاث الوجودية على المسرح فحملها الممثلون وتركوا المسرح نظيفاً جاهزاً للمشهد التالي . في المسرح القديم ، حيث تنعدم الستارة ويمتد المسرح عارياً بين النظارة ، كان على المسرحيين ان يبتدعوا هذه الحيل لتبديل الاثاث وحمل جثث القتلى ... الخ . ان اي محاولة لاعطاء مثل هذه العبارات والمواقف مدولة فلسفية وذهنية هي شعوذة من الناقد .

لقد وقع معظم نقادنا في مثل هذا الفخ ، ولم يكن وقوعهم مجرد صدفة بل كان جهلاً مع سبق الاصرار . فقدم معرفتهم بالادوات والوسائل وتأثيرها على الاسلوب والموضوع وجهلهم التام بتكنيك كل حرفة جعلهم يسدرون في آفاق لا اول لها ولا آخر . استمعوا الى دور الاذاعة عندنا في شرحها للموسيقى الغربية « وهنا يتدفق الموسيقى العظيم بتعابير انسانية هائلة تذكرنا بليلة مقمرة في ربيع جميل صحو ... » ماذا يعني ذلك ؟! ان السمفونية مجموعة اصوات تصدر من آلات مختلفة ذات طبائع وقوانين خاصة تجتمع لتعرف عبارات معينة ضمن شكل معين . اذا لم